منهج القـــــرآن فـــي بيـــان عبودية غير الإنسان

د. رشيد منصور الصباحـــي
أستاذ التفسير المساعد – كلية الآداب
قسم الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن – جامعـــــة إب

ملخص البحث :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
فمن أصول العقيدة الإسلامية شمولية العبودية لكل ما سوى الله تعالى ، فلا توجد في الكون ســوى ألوهيــة واحدة متفردة ويختص بها الله سبحانه وتعالى ، وعبودية شاملة لكل ما سواه سبحانه وتعالى .
هذا البحث يعرض منهج القرآن الكريم في بيان عبودية غير الإنسان ، ومظاهر هذه العبودية عند الكائنــات ، حيث يبين حقيقة العبودية ، وأقسامها وموقف الكائنات منها ، ومنهج القرآن الكريم في تقريره لعبودية غــير الإنسان للواحد الديان ، أسال الله القدير أن ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم .

مقدمة البحث وتشمل :

أولاً : مشكلة البحث وأهميته :

تتضح مشكلة البحث من خلال اعتقاد أكثر الناس أنه لا عابد لله من جميع المخلوقات إلا ما عقل منـــها من ملائكة وإنس وجن ... ، وما عدا ذلك من مخلوقات من حيوان ونبات وجماد ونحو ذلك فليس لها إدراك ولا تمييز ولا إحساس ولا تعقل وبالتالي فهي ليست مخاطبة بعبادتها لله ، وليس لها شيء من العبودية لله البتة ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد قرر عبادة وعبودية كل شيء في الكون له وحده كما يتضح من قوله ســبحانه: ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[1] وقوله سبحانه : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[2]

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي يهدف إلى تحقيق الأهداف التالية :

ثانياً : أهداف البحث :

١- إثبات الإدراك والتمييز والإحساس لغير الإنسان ، وخاصة الحيوان ، والجماد ، وبالتـــالي إثبـــات عبادتها وعبوديتها لرب العالمين .

٢- حصر وكشف مظاهر عبودية غير الإنسان لرب الأكوان .

٣- استنباط منهج القرآن الكريم في بيان عبودية غير الإنسان لرب العالمين .

ثالثاً : الدراسات السابقة لموضوع البحث :

لم أطلع على دراسات سابقة لموضوع البحث إلا ما قد وقع تحت يدي من الكتب التالية :

١. عبودية الكائنات لمؤلفه : فريد إسماعيل التوني .

٢. كل مؤلفات الشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر المتعلقة بالملائكة وبعض مظـــاهر عبوديتـــها لله ، والجن وشيئاً من مظاهر عبوديتها لله .

٣. بينات الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزاته للشيخ الدكتور : عبد المجيد الزنداني ، حيث جمع فيه كل معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي شيء من عبادات الشجر والحيوان والحجر وغير ذلك من الروايات التي جمعها من السابقين .

رابعاً : منهج البحث :

١- المنهج الحصري الاستقرائي لما أمكن من آيات الموضوع وجزئياته ، وتأملـــها وملاحظتـــها بدقـــة للوصول من ذلك إلى إثبات تقرير القرآن لعبودية غير الإنسان لله عزوجل .

٢- المنهج التحليلي الوصفي لآيات الموضوع ، لدراستها ومعرفة معانيها وتفاسيرها ، ثم تصنيفها حسب خطة الموضوع وفقراته المتناسبة معها .

٣- المنهج الاستدلالي الاستنباطي لاستنباط منهج القرآن وأساليبه في إثبات عبودية غير الإنسان لـــرب الأكوان. وبيان صور ذلك .

خامساً : خطة البحث :

اشتمل البحث على مبحث واحد فيه عدة مطالب ومسائل كما يلي :-

المطلب الأول : تعريفات ومصطلحات

المسألة الأولى : المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً .

المسألة الثانية : المقصود بالعبودية لغة واصطلاحاً .

المسألة الثالثة : أقسام العبودية .

المسألة الرابعة : المقصود بغير الإنسان .

المطلب الثاني : اشتراك غير الإنسان مع الإنسان في الإدراك والتمييز والإحساس وغير ذلك :-

المسألة الأولى : إدراك غير الإنسان وتمييزه للأشياء من حوله .

المسألة الثانية : إحساس غير الإنسان بما حوله وتكلمه بذلك .

المطلب الثالث : تقرير القرآن لعبودية غير الإنسان

المسألة الأولى : تقرير القرآن لعبودية الملائكة لله عزوجل .

المسألة الثانية : تقرير القرآن لعبودية الجن لله عزوجل

المسألة الثالثة : تقرير القرآن لعبودية الحيوانات والدواب لله عزوجل

المسألة الرابعة : تقرير القرآن لعبودية النبات والشجر لله عزوجل

المسألة الخامسة : تقرير القرآن لعبودية الجبال والأحجار لله عزوجل

المسألة السادسة : تقرير القرآن لعبودية الظواهر الجوية لله عزوجل

المسألة السابعة : تقرير القرآن لعبودية أجرام السماء وظلال الأشياء لله عزوجل

المسألة الثامنة : تقرير القرآن لعبودية السماوات والأرض بكل من فيهما وما فيهما لله عزوجل

المسألة التاسعة : تقرير القرآن لعبودية نار الدنيا لله عزوجل

المطلب الرابع : منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان لله عزوجل

المسألة الأولى : تصريح القرآن بإيمان غير الإنسان بالله عزوجل بشكل عام

المسألة الثانية : ذكر القرآن لعبادات غير الإنسان لله وتفصيله لذلك بشكل خاص

المسألة الثالثة : تصوير القرآن لمشاهد ومواقف تعبد غير الإنسان لله عزوجل

المسألة الرابعة : نفي القرآن لاستكبار غير الإنسان عن عبادة الله أو تقصيره في ذلك

المسألة الخامسة : تسجيل القرآن لاعتراف غير الإنسان بعبادته لله

المسألة السادسة : تقرير القرآن عبادة غير الإنسان لله ونفيه علم البشر بذلك وفقههم له

المسألة السابعة : ضرب القرآن الأمثلة لبيان عبودية غير الإنسان وعبادته لله

المطلب الأول : تعريفات ومصطلحات :

المسألة الأولى : المقصود بالمنهج لغة واصطلاحاً :

أولاً المنهج لغة : المنهج مأخوذ من نَهْج ، وطريق نَهْج أي بيّن واضح ، والجمع نهجات ونهج ونهوج ... والمنهاج كالمنهج ، ... ونهجتُ الطريق أي سلكته ، والنهج الطريق المستقيم[٣] ، والخلاصة أن من معاني المنهج لغويا مما يتصل بالموضوع :

١- الطريق البين الواضح ٢- الطريق المستقيم ٣- الخطة المرسومة

ثانياً : المنهج اصطلاحاً :-

هو الطريق الواضح المستقيم الذي جرى استعماله[٤] ، والقائم على خطة مرسومة[٥] .

المسألة الثانية : المقصود بالعبودية لغة واصطلاحاً :

أولاً : المقصود بالعبودية لغة : مشتقة من عَبَدَ ، والعَبْدُ هو الإنسان حراً كان أو رقيقا ... والجمع أعبُد وعبيد ... وعبدان ... وأصل العبودية الخضوع والتذلل ... والعابد الموحد[٦] .

ثانياً : العبودية اصطلاحاً : قال ابن القيم : (العبودية هي كمال المحبة ، في كمال الذل والخضوع والانقياد لمراضي المحبوب وأوامره ، تدبيراً وتصريفاً وقهراً)[٧] أو هي : (نفاذ مشيئة الله وقدرته وإرادته في كل مخلوق دون امتناع)[٨].

المسألة الثالثة : أقسام العبودية :- تنقسم العبودية إلى ثلاث أقسام :

١- عبودية عامة ، وهي عبودية الربوبية ، وتشمل كل المخلوقات قال تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾[٩] ويدخل في ذلك الكفار ، والعبودية العامة تعني أن الخلق كلهم مملوكون لله ، مخلوقون له ، يتصرف فيهم ويدبر أمورهم[١٠] ، فهي عبودية كونية قدرية .

٢- عبودية خاصة ، وهي عبودية الطاعة العامة ، قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[١١] وهذه تعم كل من تعبَّد لله بشرعه ، ويسميها بعضهم عبودية التأله والمحبة، وهي خاصة بالمؤمنين والمرسلين[١٢] .

٣- عبودية خاصة الخاصة ، وهي عبودية الرسل عليهم سلام الله ، قال تعالى عن نوح ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾[١٣] وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[١٤] والخلاصة أن هناك تعبدان :-

أ- تعبد كوني لكل المخلوقات بشكل عام .

ب- تعبد شرعي لعقلاء المخلوقات من الملائكة والجن والإنس .

وأصل العبودية وأساسها مبني على افتقار المخلوق الضعيف المرهوب المقهور العاجز الذي لا حيلة له إلا بالله عزوجل[١٥] .

المسألة الرابعة : المقصود بغير الإنسان :

أي من لا ينتمي لجنس الإنسان سواء كان عاقلاً كالملائكة والجن ، أو غير عاقل كالحيوان والجماد والنبات وسائر المخلوقات .

وبناءً على ما سبق من تعريفات لغوية واصطلاحية لعنوان البحث (منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان) فيمكن تعريف العنوان إجمالاً بأن المقصود به :

طريقة القرآن الكريم الواضحة المستقيمة وخطته المرسومة في بيان خضوع غير الإنسان لله ، وافتقاره إليه ، وانقياده لمشيئته وقدرته وإرادته وجميع أوامره تدبيراً وتصريفاً وقهراً على سبيل الاضطرار ، أو انقياده لمحبته ومرضاته على سبيل الاختيار .

المطلب الثاني : اشتراك غير الإنسان مع الإنسان في الإدراك والتمييز والإحساس وغير ذلك :

يغلب على ظن أكثر الناس أن ما عدا الإنسان من حيوان ونبات وجماد وظواهر كونية كالرياح والسحاب وغيره ، أنه لا يشبه الإنسان في إدراكه للأشياء ، وتمييزه للأمور ، وإحساسه وعواطفه ، وأن لا

شيء لهذه المخلوقات غير العاقلة من ذلك البتَّة ، وفي الحقيقة أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد بيَّنا لنا أن ما في الكون من مخلوقات خلقها الله عزوجل لها إدراك وتمييز للأشياء وإحساس بالأمور التي حولها ، فهي تشـــبه الإنسان كما قال تعالى عن الدواب والطيور : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ﴾[١٦] قال المفسرون : أي إلا أمم أمثالكم في العلم بالضار والنافع والتوقي عن الهلاك[١٧] ... وقيل يشبه بعضها بعضاً ويأنس بعضها ببعض[١٨] ... وغير ذلك من الأقوال ، والشاهد من هذا أن الله تعالى جعل لمخلوقاته من الإدراك والتمييز لما هو لها والإحساس به مثل ما هو للإنسان ، وربما تفوَّقـــت عليه في بعضها ، وربما تكلَّمت مثله ، وقد أثبت العلم الحديث كثيراً من ذلك[١٩] ، وإذا كان الأمر كذلك ، فلم يعد غريباً ولا منكراً أن تصدر من هذه المخلوقات مظاهر عبادة لخالقها ، تدلك على عبوديتها لله عزوجل وحتى يتضح هنا الأمر بشكل أفضل يمكن تقسيم هذا المبحث إلى المطلبين التاليين :-

المسألة الأولى : إدراك غير الإنسان وتمييزه للأشياء من حوله:-

وردت نصوص قرآنية وأخرى نبوية تكشف أن ما عدا الإنسان من المخلوقات الأخرى المصنَّفة ضـــمن الحيوان والجماد والنبات والأكوان بشكل عام ، أنها تتمتع بصفة الإدراك والتمييز لما هو لها، يؤكد هذا قولـــه تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا ﴾[٢٠] قـــال المفسرون : (أخبر الله تعالى أن لهذه العوالم إدراكاً كإدراك الإنسان أو أشد منه ، فأثبت تعالى لهـــذه العـــوالم إدراكاً وإشفاقاً من تحمل الأمانة ... ولم يكن هذا العرض مجرد تسخير ، ولا هذا الإباء مجرد سلبية بل عـــن إدراك تام)[٢١] .

ومثل هذا الإدراك والتمييز ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الجَمل الذي ندَّ على أهله ثم خضع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال الصديق – رضي الله عنه – لكأنه يعلم إنك لرســـول الله ، فقال: صلى الله عليه وسلم : (نعم إنه ما بين لابتيها[٢٢] إلا وهو يعلم أني رسول الله) أي ما بين لابتي المدينة المنورة ، وفي رواية (إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس)[٢٣] .

فهذا كله يثبت إدراكاً للحيوان والجماد بالمحسوس وبالمغيب إدراكاً لا يقل عن إدراك الإنسان، لقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما صعد هو وأبوبكر وعمر وعثمان على جبل أحد ما نصه : (أثبت أحد ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان)[٢٤] وذلك عندما ارتجف وهم عليه، وإذا به يثبت كما أمره رســـول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه يعرف النبي ويعرف الصديق والشهيدين ، (فبأي قانون كان ارتجافه ؟ وبـــأي معقول كان خطابه ؟ وبأي معنى كان ثبوته)[٢٥]؟ ثم هاهو صلى الله عليه وسلم يثبت له المحبة المتبادلة بقولـــه (يحبنا ونحبه)[٢٦] .

فله إدراك وتمييز ومشاعر وعواطف.

المسألة الثانية : إحساس غير الإنسان بما حوله وتكلمه بذلك :-

وكما أن غير الإنسان من غير العقلاء يدرك ويميز الأشياء ، فإنه كذلك يُحسُّ بها ، وربما يتكلم بما يدل على إحساسه هذا ، كما يتضح من حديث القرآن عن النملة والهدهد حيث قال تعـالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾(٢٧).

فهذه الآيات بما فيها من دلالات ألفاظ النملة كما يلي : (قالت نملة ...) (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) وألفاظ الهدهد كما يلي : (... قال أحطت بما لم تحط به) (جئتك من سبأ بنبأ يقين) (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ...) (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون) (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) .

فتلك الآيات السابقة بما فيها من دلالات ألفاظها المنطوقة على لسان النملة والهدهد تؤكد أن للحيوان شعوراً وإحساساً وعواطفاً يعيش بها ، وله إدراك للحق من الباطل ، وللضار من النافع ، وللخير من الشر وللتوحيد من الشرك ، وعنده قدرة على تحليل ما حوله من المشاهد والمواقف والأحداث ، وقدرة على التعبير عما يجيش في عواطفه وفكره ، وقدرة على التصوير لما شاهده ، وعنده غَيْرةٌ على حرمات الله أن تنتهك ، وإنكار لما يراه مما لا يرضي الله ، وعنده معرفة سابقة بالحق والدين والتوحيد ، وعنده إلمام بمكر الشيطان ومكايده وتزيينه للباطل ، وعنده دعوة إلى عبادة الله وحده دون سواه ، فهل بعد هذا الإدراك من إدراك ، لقد استشعر سليمان عليه السلام إدراك النملة وإحساسها وشفقتها على بني جنسها أن يُصبن بسوء من سليمان وجنوده ، بل تعجب من شدة إدراكها لما قد يصيبها وقومها بدون علم سليمان وجنوده ، وبلا شعور منهم ،

وها هي تلتمس لهم العذر قائلة (وهم لا يشعرون)[٢٨] فما كان منه إلا أن شهد بإدراكها وإحساسها بعد أن سمع كلامها ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[٢٩] . واستشعر أيضاً إدراك هدهده وتعقله لخطابه وفهمه لتوجيهاته ، فخاطبه وهو يوجهه إلى ملكة سبأ قائلاً : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٣٠].

وهكذا هو الإدراك عند بقية الحيوانات والجماد وكل ما في الكون ، ولا يتسع المقام هنا لسرد كل الشواهد القرآنية .

هذه نصوص القرآن المؤكدة لإدراك غير الإنسان وإحساسه وكلامه ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[٣١]

أما الأحاديث النبوية فقد تعددت في ذلك ، فمنها قوله صلى الله عليه وسلم عن المؤذن (لا يسمع صوت المؤذن من حجر ولا مدر ولا شجر إلا شهد له يوم القيامة)[٣٢] فبم سيشهد إن لم يك مدركاً الأذان والمؤذن؟!

وقوله صلى الله عليه وسلم عن يوم الجمعة : (... وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة في الأرض إلا وهي تصيح بأذنها ، من فجر يوم الجمعة حتى طلوع الشمس ، إشفاقاً من الساعة ، إلا الجن والإنس)[٣٣] .

بل جاءت أحاديث أخرى تذكر خوف كل المخلوقات العاقلة وغير العاقلة من يوم القيامة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الجمعة : (... وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ، ولا سماء ولا أرض ، ولا رياح ولا جبال ولابحر إلا وهن يُشفقن من يوم الجمعة)[٣٤] .

وجاءت أحاديث أخرى تقرر وجود الجوارح الحاسة لما نعتقده جماداً ، وتؤكد قدرته على الرؤية والنطق والشهادة بالحق ، كما قال صلى الله عليه وسلم عن الحجر الأسود : (ليأتين هذا الحجر يوم القيامة ، وله عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من يستلمه بحق)[٣٥] ، وغير ذلك من الروايات التي تؤكد امتلاك غير الإنسان لخصائص الإدراك والتمميز والإحساس والكلام ونحو ذلك ، كسرور الجبال وفرحها بذكر الله[٣٦] ، واستراحة البلاد والعباد والشجر والدواب بموت الفاجر[٣٧] ، وكلام دابة الأرض قبل قيام الساعة[٣٨] ، وحديث البقرة لسائقها كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به[٣٩] ، واستغفار حيتان البحار للعالم بالله[٤٠] ، ودعاء الديك للصلاة[٤١]. وكلام الذئب لراعي الشاة وشهادته برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤٢]، ودعاء الفرس لربه أن يجعله من أحب مال الإنسان إليه ، ومن أحب أهله له[٤٣] .

وصحَّت الروايات بحنين الجذع للنبي صلى الله عليه وسلم حتى سمعه الصحابة[٤٤] ، وبتسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم[٤٥].

وما ثبت لفرد يثبت لبقية أفراد جنسه كما هو معلوم في قاعدة الواحد بالجنس والواحد بالنوع)[٤٦].

فهذا كله يثبت إدراكاً لغير الإنسان ، وتمييزاً وإحساساً وكلاماً[٤٧] ، وما دام الأمر كذلك فما المانع من إثبات معرفتها لله وعبادتها له – أي كل المخلوقات ماعدا الإنسان – وهذا ما نفصل القول فيــه في المبحــث الثالث كما يلي:-

المطلب الثالث : تقرير القرآن لعبودية غير الإنسان :

لقد تناول القرآن الكريم عبودية غير الإنسان في عشرات الآيات القرآنية ، وسجَّل صور تلك العبــادات والتعبدات لله عزوجل ، وحتى يتسنى لنا استنباط منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان ، نمهّــد لــذلك بالحديث عن تقرير القرآن لعبودية غير الإنسان لله عزوجل ، كما يتضح من المطالب التالية :-

المسألة الأولى : تقرير القرآن لعبودية الملائكة لله عزوجل :

تعددت آيات القرآن التي قررت عبودية الملائكة لله عزوجل ، وكشفت صور عبادتها له سبحانه وتعالى فقد تحدث القرآن عن :

أ- إيمان الملائكة بالله عزوجل وشهادتها له بالتوحيد ، قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[٤٨] أي قائماً بالعدل بين خلقه[٤٩] وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[٥٠] .

ب- وتحدث عن تسبيح الملائكة لله وبحمده في غير ما آية كقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾[٥١] وقوله : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[٥٢] وسجَّل سبحانه تسبيحهم له وهو يقولون ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٥٣] وكشف لنا تسبيحهم له في الدار الآخرة بعد أن سألهم – وهو أعلم – عن عبادة الكفار لهــم فقالوا : ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[٥٤] وبعد انتهاء الحساب كما قال ســبحانه : ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾[٥٥] وسجَّل لنا اعترافهم المطلق بــدوام تسبيحهم لله عزوجل كما قال تعالى : على لسان جبريل عليه السلام : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[٥٦] وكما جاء في قوله سبحانه على لسانهم أيضاً عن آدم وذريته ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ

فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٥٧] وغيرها من الآيات التي ستأتي فيما يلي من فقرات البحث مع بيان تفسيرها جميعاً سواء ما ذُكر هنا أو ما يأتي من آيات لاحقة ، والمقصود بالتسبيح هنا التتريه لله عزوجل من كل مالا يليـــق بـــه مـــن نقـــص وعيب[٥٨] وقد يكون متلبّساً بالتحميد لله والثناء عليه وتعظيمه في نفس الوقت .

جـــ- وذكر القرآن سجود الملائكة لله عزوجل ، كما جاء في قوله ســبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[٥٩] وقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٦٠].

د- وبيّن القرآن أيضاً خوف الملائكة من الله كما جاء في قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[٦١] وقال : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٦٢].

هـــ- وكشف القرآن عن استغفار الملائكة للمؤمنين التائبين ودعائهم لهم ولذرياتهم ، كما جــاء في قولــه سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾[٦٣]. وكما جاء في قوله عزوجل : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ ﴾[٦٤] وكما قال سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ ﴾[٦٥].

و- وتحدث القرآن عن عظيم امتثال الملائكة لله عزوجل وطاعتهم له فقال تعالى : ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[٦٦] أي : مهما أمرهم به تعالى يبادرون إليه ولا يتأخرون عنه طرفة عين ، وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه يؤكد هذا قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٦٧].

ز- وأشار القرآن الكريم إلى صُوَر أخرى من صُوَر عبادات الملائكة لله عزوجل مما يحقق تمام عبوديتهم له ، مما يرتبط بالخلق ، كتبشيرهم للموحدين بالجنة(٦٨) ، وتأييدهم للمجاهدين في سبيل الله(٦٩) ، وتسليمهم على أولياء الله في جنته(٧٠) ، ولعنهم للكافرين(٧١) ، وامتهانهم لهم جزاء كفرهم(٧٢) ، وعتابهم لهم يوم القيامة(٧٣) ، وغير ذلك من صور عبادة الملائكة لله عزوجل .

وخلاصة القول أن الله تعالى وصف ملائكته العابدين بأنهم (عباد مكرمون)(٧٤) وأنهم ﴿ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ۝١٩ ﴾(٧٥) وأنهم كما قال عنهم وعن عيسى عليه السلام : ﴿ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾(٧٦) .

أي لن يأنف(٧٧) ، وقيل لن يحتشم المسيح أى يكون عبداً يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون(٧٨).

المسألة الثانية : تقرير القرآن لعبودية الجن لله عزوجل :

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن عبودية الجن لله عزوجل ، وكشف لنا صوراً من عباداتهم له سبحانه وتعالى ، فقد ذكر القرآن :

أ- إيمان بعض الجن بالله عزوجل وتوحيدهم له ، ونفيهم الشرك عنه ، كما جاء في قوله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ﴾(٧٩). ومعنى (جد ربنا) أي أمره وعظمته ، وقيل ، وقيل غناه وقدرته ، وقيل جلاله ، وقيل ذكره(٨٠) وغير ذلك من الأقوال.

ب- وذكر القرآن استماع بعض الجن للقرآن وإيمانهم به ودعوتهم إليه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٣١ ﴾(٨١) ، وكما جاء في قوله عزوجل : ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴾(٨٢).

لقد سجل القرآن الكريم مقالة الجن الدالة على عبادتهم لله وعبوديتهم له قائلين : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدٗا ۝١١ ﴾(٨٣). وقائلين : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ۝١٤ ﴾(٨٤) أي مسلمين وكافرين بأهواء مختلفة(٨٥).

المسألة الثالثة : تقرير القرآن لعبودية الحيوانات والدواب لله عزوجل :

كما أخبرنا الله عزوجل عن عبودية غير الإنسان من المخلوقات العاقلة من الملائكة والجن فقد أخبرنا أيضاً عن عبودية غير الإنسان من المخلوقات غير العاقلة – كما تعارف عليه الناس- لكنها المدركة المميزة التي تحس بالأشياء وتعبر عنها – كما سبق إثباته – حيث تكلم القرآن عن:

أ- سجود الدواب لله عزوجل : قال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾(٨٦) وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾(٨٧) وقد اختلف المفسرون في معنى سجود دواب الأرض وحيواناتها لله ، فقيل :

١- هو العبادة والطاعة لله – بشكل عام – طوعاً أو كرهاً(٨٨) .

٢- وقيل هو دلالة المخلوقات على الله ودعوتها إليه أو هدايتها إليه(٨٩) .

٣- وقيل هو خضوعها له واستلامها لأمره(٩٠) وانقيادها له(٩١) .

٤- وقيل هو الصلاة لله(٩٢) .

٥- وقيل هو خشوعها له (٩٣).

٦- وقيل المقصود بالسجود أي وجوب الإتيان به لكن القرآن عبر عن الوجوب بالوقوع (٩٤).

٧- وقيل هو التعظيم والتبجيل لله وتكبيره والاعتراف بالعبودية له(٩٥) .

٨- وقيل هو الإقرار بوحدانية الله(٩٦) .

٩- وقيل هو التذلل لله ، والتسخير لما أراده سبحانه(٩٧) .

١٠- وقيل هو نفوذ مشيئة الله وقدرته في جميع مخلوقاته وعدم امتناعها ، ومن ذلك دواب الأرض وحيواناتها(٩٨) .

١١- وقيل هو الافتقار إلى الله عزوجل(٩٩).

وغير ذلك من الأقوال ، ويبدو – والله أعلم- أن الراجح من هذا كله هو أن المقصود بالسجود بالنسبة للعاقل من إنسان وملك وجان هو السجود الحقيقي بمعنى وضع الجبهة على الأرض طاعة لله ، والسجود لغير العاقل هو الخضوع والتعظيم والانقياد لله عزوجل ، ونفاذ مشيئته وأوامره فيه دون امتناع وهذا ما رجحه ابن جزى الكلبي ، وابن عاشور ، وغيرهما(١٠٠)، بينما الأمر يختلف في التسبيح كما سيتبين لنا في الفقرة التالية. والشاهد أن الله تعالى أخبرنا عن سجود كل الدواب له عزوجل بطريقة يعلمها الله – سواء دواب الأرض فقط ، أو دواب السماوات أو جميعهما ، قال ابن جزى الكلبي في تفسيره (يحتمل أن يكون من دابة بيان لما في السماوات وما في الأرض معاً ، لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب ، ويحتمل أن يكون بيانا لما في

الأرض خاصة ...)[١٠١] وقال ابن عاشور : (ومعنى سجود الدواب لله أن الله تعالى جعل في تفكيرها الإلهامي التذاذها بوجودها وبما هي فيه من المرح والأكل والشرب، وتطلب الدفع عن نفسها من المتغلب ومن العوارض بالمدافعة أو بالتوقي ، ونحو ذلك من الملائمات ، فحالها لذلك كحال شاكر تتيسر له تلك الملائمات لها ، وإنما تيسيرها لها ممن فطرها وقد تصحب أحوال تنعمها حركات تشبه إيماء الشاكر المقارب للسجود)[١٠٢] .

ب- وتحدث القرآن عن تسبيح الطيور لله عزوجل حيث قال سبحانه وتعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[١٠٣] قال ابن جرير (إن الصلاة لبني آدم والتسبيح لغيرهم من الخلق)[١٠٤] وقال ابن كـــثير (والطير صافات أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده ، بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه ، وهو يعلم مـــا هـــي فاعلة..)[١٠٥] وقال السعدي : (أي كل له صلاة وعبادة بحسب حاله اللائقة به ، وقد ألهمه الله تلك الصـــلاة والتسبيح ؛ إما بواسطة الرسل كالجن والإنس والملائكة ، وإما بإلهام منه تعالى كسائر المخلوقـــات)[١٠٦] (... من الحيوانات الناطقة والصامتة)[١٠٧] فيفهم من أقوال المفسرين السابقة إما : أن الله تعـــالى عَلـــم عبـــادات مخلوقاته له من تسبيح وصلاة ، أو أن هذه المخلوقات قد علمت كيف تصلى لله وتسبح له كما جاء في قولـــه تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[١٠٨] أي لا تسمعون ذكرهم لله عزوجل[١٠٩] ، ولا تعلمون كيـــف يســـبحون الله سبحانه وتعالى ، وقد اختلف المفسرون في معنى تسبيح غير العاقل لله بنحو ما شرحناه في فقرة سجود الدواب لله فيما سبق بيانه.

وقد ناقش الشوكاني ذلك بقوله : (والمراد بالتسبيح المسند إلى ما في السماوات والأرض من العقلاء وغيرهم ، والحيوانات والجمادات ، هو ما يعم التسبيح بلسان المقال ، كتسبيح الملائكة والإنس والجن ، وبلسان الحـــال كتسبيح غيرهم ، فإن كل موجود يدل على الصانع)[١١٠].

نفهم من قول الشوكاني رحمه الله ، أن تسبيح غير العاقل من المخلوقات هو تسبيح دلالة على الخالق سبحانه وتعالى. لكن الزجاج أنكر ذلك وقال: لو كان هذا تسبيح الدلالة، وظهور آثار الصنعة لكانت مفهومة ، فلم قال : (وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) وإنما هو تسبيح مقال ، واستدل بقوله تعالى :﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[١١١]

فلو كان هذا التسبيح من الجبال تسبيح دلالة ، لم يكن لتخصيص داود فائدة[١١٢].

والذي نرجحه والله أعلم – أن تسبيح المخلوقات غير العاقلة هو تسبيح حقيقي بلسان المقال، بدليل نص الآية التي استشهد بها الزجاج ، ولأنا لاندرك حقيقة هذا التسبيح القولي ، أخبرنا تعالى بقولـــه: (وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ

تَسۡبِيحَهُمۡ)، وقد رجح هذا القرطبي[١١٣] ولكن هذا لا ينفي ما قاله الشوكاني من تسبيحها بلسان الحال ، فهي دالة على وجود خالقها وعلى كثير من أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

وعليه : فتسبيح غير العاقل لله تسبيح مقالي بصورة رئيسة ، وتسبيح حالي بصورة ثانوية.

جـــ- وسجل القرآن الكريم مواقف هدهد سليمان عليه السلام الدالة على عبوديته لله عزوجل ، كإنكـــاره الشرك الواقع من ملكة سبأ وقومهـــا قـــائلاً : ﴿ **وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾** ﴾[١١٤]، ودعوته لعبادة الله وتوحيده قائلاً: ﴿ **أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾** ﴾[١١٥] قال الشعراوي : (كأن الهدهد عارف لقضية التوحيد ، وقضية الإيمان، بدليل أنه غضب ، ثم يقول : ﴿ **أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾[١١٦] ، إذا فهو يعرف من الذي يستحق السجود)[١١٧] . والمقصود بالخبئ هنا هو الخفي من الأمور ... وخبء السماء مطرها ، وخبء الأرض كنوزها ونباتها[١١٨].

وهكذا لايزال القرآن الكريم يحدثنا عن عبودية غير الإنسان لله عزوجل ، ومن ذلك عبودية النبات كما يلـــي :-

المسألة الرابعة : تقرير القرآن لعبودية النبات والشجر لله عزوجل :

حدثنا القرآن الكريم عن عبودية النبات والشجر لله عزوجل فأخبر عن سجودها لله عزوجل كما قـــال ســـبحانه : ﴿ **أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ** ﴾[١١٩] وقال تعالى : ﴿ **وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ** ﴾[١٢٠]

قال ابن عاشور : (والنجم يطلق اسم جمع على نجوم السماء ... ويطلق على النبات والحشيش الذي لا سوق له ، فهو متصل بالتراب ... والسجود يطلق على وضع الوجه على الأرض بقصد التعظيم ، ويطلق الوقـــوع على الأرض مجازاً مرسلاً بعلاقة الإطلاق ، أو استعارة ، ومنه قولهم نخلة ساجدة إذا أمالها حِمْلُها ، فســـجود نجوم السماء نزولها إلى جهات غروبها ، وسجود نجم الأرض إلتصاقه بالتراب كالساجد ، وســـجود الشـــجر تَطَأْطُؤُهُ بهبوب الرياح ودُنُوّ أغصانه للجانين لثماره ، والخابطين لورقه ، ففعل (يسجدان) مستعمل في معنيين مجازين ، وهما الدنو للمتناول ، والدلالة على عظمة الله تعالى ، بأن شـــبَّه ارتســـام ظلالهمـــا علـــى الأرض بالسجود)[١٢١] وقال سيد قطب : (والسياق القرآني يعبر عن خضوع الأشياء لنواميس الله بالسجود – وهـــو أقصى مظاهر الخضوع-)[١٢٢] وقال : (ويتدبر القلب هذا النص ، فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنســـان ومما لا يدرك ، وإذا حشد من الأفلاك والأجرام مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم ، وإذا حشد من الجبال والشجر

والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان ، إذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله وتتجه إليه وحده دون سواه ...)[١٢٣] .

وكما تحدث القرآن الكريم عن سجود الشجر والنبات لله عزوجل ، فقد شمل في حديثه عـــن تســـبيح الكائنات لله ، تسبيح النبات والشجر كما سبق شرحه في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾[١٢٤] وكما يدل عليه عموم قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾[١٢٥] وقوله سبحانه : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾[١٢٦] وغيرها من الآيات .

المسألة الخامسة : تقرير القرآن لعبودية الجبال والأحجار لله عزوجل :

لم تزل آيات القرآن تكشف لنا عبودية المخلوقات لله – ما عدا الإنسان- ومن ذلك ما جاء عن عبادات الجبال والأحجار ، حيث تحدث سبحانه عن :

أ- سجود الجبال لله عزوجل ، كما جاء فيما سبق شرحه في قوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ ﴾[١٢٧] وقال : ابن كثير : (وأما الجبال والشجر فسجودهما بفيء ظلالهما عن اليمين والشمائل)[١٢٨] .

ب- وتحدث عن تسبيح الجبال لله سبحانه وتعالى ، كما جاء في قوله : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[١٢٩] وقوله تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾[١٣٠] أي سبحي معه[١٣١] وكما جاء في قوله أيضاً : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾[١٣٢] لقد ترادفت آيــات القـــرآن المؤكدة لتسبيح الجبال لله ، بل المبيّنة لأوقات تسبيحها له سبحانه وتعالى ، قال القرطبي عن تسبيح الجبال مع داود عليه السلام : (ذكر الله تعالى ما آتاه من البرهان والمعجزة، وهو تسبيح الجبال معه ، قال مقاتــل كــان داود عليه السلام إذا ذكر الله عزوجل ذكرت الجبال معه ، فكان عليه السلام يفقه تسبيح الجبال ... وذلــك التسبيح تسبيح مُقالٌ على الصحيح من الأقوال ، وكان عند طلوع الشمس وعند غروبها ... وكــان داود إذا وجد فترةً أمر الجبال فسبَّحت حتى يشتاق ، ولهذا قال تعالى: (وكنا فاعلين) مؤكّد لقولــه : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾ والموجب لهذا التأكيد أن تسخير الجبال وتسبيحها أمر عجب ، خــارق للعادة ، مظنة (أن يكذب به الكفرة والجهلة)[١٣٣] وقال الشوكاني (والتسبيح إما حقيقة وإما مجــازاً ، قــال بالأول جماعة وهو الظاهر ، وذلك أن داود عليه السلام إذا سبحَّ سبَّحت الجبال معه ... ، وقال بالمجاز آخرون ، وجعلوا التسبيح على تسبيح من رآها ، تعجباً من عظيم خلقها ، وقدرة خالقها، وقيل : إنها كانت تسير مع

داود عليه السلام ، فكان من رآها تسير سبحَّ)[١٣٤] وقال الشنقيطي : (والتحقيق أن تسبيح الجبال والطير مع داود عليه السلام المذكور ، تسبيح حقيقي ، لأن الله جل وعلا يجعل لها إدراكات تسبح بها، ويعلمها هو جل وعلا ، ونحن لا نعلمها ، كما قال تعالى : ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾** ﴾[١٣٥] .

جـ- وتحدث القرآن عن خشية الجبال والأحجار من الله ، وخشوعها له ؛ قــال تعــالى : ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[١٣٦].

وقال عن الأحجار الصمَّاء : ﴿ **وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾** ﴾[١٣٧] .

قال القرطبي : (ما تردى حجر من رأس جبل ، ولا تفجر نهر من حجر ، ولا خرج منه ماء إلا من خشية الله ، نزل بذلك القرآن الكريم)[١٣٨] وقال : لا يمتنع أن يعطي الله بعض الجمادات المعرفة فيعقــل[١٣٩] ، وقــال الألوسي (يجوز أن يخلق الله تعالى العقل والحياة في الحجر ، وظواهر الآيات ناطقة بذلك)[١٤٠] .

إن مما يؤكد خشية الجبال من الله وخشوعها له ، وشدة خوفها مما يسخطه ما جاء في قوله تعــالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا** ﴾[١٤١] وما جاء في قوله تعالى : ﴿ **تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾** ﴾[١٤٢]. قال السعدي (أي تتصدع السماوات وتندك الجبال من أجل هذه الدعوى القبيحة)[١٤٣] .

وخلاصة القول أن القرآن الكريم قد كشف لنا عبادة الجبال لله ، بسجود وتسبيح وخضوع وخشية وغير ذلك مما يدل على تحقق عبوديتها لله عزوجل وعبادتها له سبحانه وتعالى .

المسألة السادسة : تقرير القرآن لعبودية الظواهر الجوية من رياح وسحاب ورعد لله عزوجل :

تحدث القرآن الكريم عن عبودية الظواهر الجوية لله عزوجل من رياح وسحاب ورعد ، فسجل سبحانه عبودية الريح المطيعة لأمر الله المنقادة لمشيئته وإرادته في كل وقت وحين وفي عهد سليمان عليه السلام قائلاً : ﴿ **فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾** ﴾[١٤٤] وذكر خضوعها وامتثالها مع السحاب لأمر الله قائلاً : ﴿ **وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾[١٤٥] وكشف لنا عن تسبيح الرعد

لله عزوجل، وامتثال الصواعق لأمر الله ، فقال سبحانه : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ ﴾[١٤٦] ولهذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم إذا سمع صوت الرعد : (سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته)[١٤٧] ، قال الشوكاني (أي يسبح الرعد نفسه بحمد الله ، أي مُتَلَبّساً بحمده)[١٤٨] وقال سيد قطب : (... وقد يكون المدلول المباشر للفظ يسبح هو المقصود فعلاً ، ويكون الرعد يسبح فعلاً بحمد الله ، فهذا الغيب الذي زواه الله عن البشر ، لابـد أن يتلقـاه البشـر بالتصديق والتسليم ، وهم لا يعلمون من أمر هذا الكون ، ولا من أمر أنفسـهم إلا القليـل)[١٤٩] ، ومـن المفسرين من أول معنى الآية على حذف مضاف أي : ويسبح سامعوا الرعد بحمده[١٥٠].

المسألة السابعة : تقرير القرآن لعبودية أجرام السماء وظلال الأشياء لله عزوجل :-

كما قرر القرآن الكريم عبودية الظواهر الجوية فقد قرر أيضاً عبودية أجرام السماء من شمس وقمر ونجوم وما ينتج عن ضوء الشمس وسراجها من ظلال للأشياء ، حيث أخبر تعالى عن:

أ- سجودها لله فقال سبحانه :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ ﴾[١٥١] ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾[١٥٢] ومن معاني النجم هنا نجم السماء[١٥٣] ، وقد أشرنا إلى معـنى السجود للكائنات غير العاقلة فيما سبق .

وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطباً الصحابة : (أتدرون أين تذهب الشمس؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها ، تحت العرش ، فتخر ساجدة ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي ، إرجعي من حيث جئت ، فترجع ، فتصبح طالعة من مطلعهـا)[١٥٤] ، وفي روايـة أخرى (فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها)[١٥٥] ولاشك أن سجود الشمس هذا بطريقة وكيفيـة لا يعلمها إلا الله ، وقد يكون كما شرحناه فيما سبق في معنى سجود غير الإنسان لله عزوجل ، قال أبو العالية : (ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر ، إلا يقع لله ساجداً حتى يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخـذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه)[١٥٦] .

وكما أخبر سبحانه وتعالى عن سجود أجرام السماء من شمس وقمر ونجوم ، فقد أخبرنا كذلك عن سـجود ظلال الأشياء له سبحانه وتعالى : حيث قال : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[١٥٧] ودعا خلقه إلى تأمل هذا السجود قائلاً : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[١٥٨] قال المفسرون : (إذا فـاءت الظلال ، ظلال كل شيء بالغدو سجدت لله ، وإذا فاءت بالعشي سجدت لله)[١٥٩] .

قال الألوسي : (سجداً لله أي منقادة له تعالى ، جارية على ما أراد من الإمتداد والتقلص وغيرهما ، غير ممتنعة عليه سبحانه فيما سخرها له ، وهو المراد بسجودها ، وقد يفسر باللصوق في الأرض أي حال كونها لاصقة بالأرض على هيئة الساجد)[١٦٠].

وعلى كل الأقوال فهو امتثال لله وخضوع له ، وانقياد لأوامره ومشيئته ، ودخول تحت قدرته سبحانه وتعالى ، وهذا كله إنما هو دليل على عبودية الظلال لله عزوجل .

ب- وأخبر تعالى عن امتثالها لأمر الله بتسخيرها للخلق ، كما قال سبحانه : ﴿ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[١٦١] .

وكما جاء في قوله عزوجل : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[١٦٢]

والفلك هو : مجاري النجوم والشمس والقمر[١٦٣] ، ويتأكد امتثالها لأمر الله وخضوعها له بقوله سبحانه : ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ ﴾[١٦٤] فكون الشمس والقمر يمتثلان لله بالتسخير للخلق ، والجريان في فلكهما دون خلل أو تجاوز أو تقصير ، بل كما أمر الله وشاء، وتحت إرادته وقدرته ، فهذا يدل على تمام استسلامها لله ، وتذللها له ولقدرته سبحانه وتعالى ، ونفس الأمر بالنسبة للنجوم التي قال تعالى عنها : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ ﴾[١٦٥] فهي مطيعة لله ممتثلة أمره في تسخيرها للخلق للإهتداء بها وغير ذلك من المنافع كما قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[١٦٦] ونحوها من الآيات[١٦٧] .

المسألة الثامنة : تقرير القرآن لعبودية السماوات والأرض بكل من فيهما وما فيهما لله عزوجل :

لا تزال آيات القرآن الكريم تترى وتتوالى تارة بذكر عبودية المخلوقات لله عزوجل تفصيلاً- كما سبق بيانه – وتارة بذكر عبوديتها لله إجمالاً ، كما جاء في حديثه سبحانه عن خلق السماوات والأرض التي هي كما وصفها عزوجل بقوله : ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[١٦٨] حيث تحدث سبحانه وتعالى عن :

أ- تمام طاعتهما وامتثالهما لأمر الله تعالى بشكل عام ، فقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[١٦٩] ، وتحدث عزوجل عن :

ب- تسبيحهما لله عزوجل قائلاً : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾[١٧٠]. وتحدث عن :

جـ- تسبح ما فيهما - لله عزوجل- سواء في الماضي كما في قولـه سـبحانه : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ ﴾[١٧١] ، أو في الحاضر كما في قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[١٧٢] هذا لغير العاقل ، وللعاقل قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[١٧٣]. وهذا معناه دوام تسبيحها لله ، وتنزيهها له ، وأزلية ذلك منذ خلق الله الكون ، واستمرار تسبيحها له ، وتجدد ذلك كل وقت وحين إلى ما شاء الله ، ما دامت السماوات والأرض وما فيهن ومن فيهن موجود ، فالكون كله عابد لله مسبح له في الماضي والحاضر والمستقبل ، قال صاحب تفسير اللباب : ((وجاء في بعض الفواتح (سبح) بلفظ الماضي ، وفي بعضها بلفظ المضارع ، وذلك إشارة إلى أن هذه الأشياء مسبحة في كـل الأوقات ، لا يختص بوقت دون وقت ، بل هي مسبحة أبـداً في الماضـي ، وسـتبقى مسـبحة أبـداً في المستقبل))[١٧٤] وتحدث عن :

د- طاعتهما لله فيما أمرهما به بشكل خاص كتوقيف السماء لأمطارها ، وابتلاع الأرض لمياهها، كما جاء في قوله عزوجل عن طوفان نوح عليه السلام : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝٤٤ ﴾[١٧٥] وكما جاء في حديثه سبحانه عن حال الأرض يوم القيامة امتثالاً لربها قائلاً سـبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ ﴾[١٧٦]. وتحدث عن :

هـ- حمد الكون كله لله يوم القيامة ، كما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٧٥ ﴾[١٧٧] .

قال ابن كثير : (أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه على رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد)[١٧٨]

وكما تناول القرآن عبودية السماوات والأرض لله عزوجل فقد أشار إلى عبودية نار الدنيا كما يلي:

المسألة التاسعة : تقرير القرآن لعبودية نار الدنيا لله عزوجل :

قرر القرآن الكريم عبودية نار الدنيا لله عزوجل ، واستجابتها لأمره القائل في قصة حرق إبراهيم عليـه السلام : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩ ﴾[١٧٩] وكذلك كانت برداً وسلاماً على إبراهيم قال القرطبي : (قال بعض العلماء جعل الله فيها برداً يرفع حرَّها ، وحرًّا يرفـع بردهـا ، فصـارت سـلاماً عليه)[١٨٠] ، وهذه الاستجابة منها لله عزوجل تمثل صورة من صور الطاعة والانقياد لله عزوجل ، مما يؤكـد عبوديتها له سبحانه وتعالى .

قال الشنقيطي : (... فدل ذلك الإحراق دلالة قاطعة على أن التأثير حقيقة إنما هو بمشيئة خالق الســـماوات والأرض ، وأنه يسبب ما شاء من المسبَّبات على ما شاء من الأسباب ، وأنه لا تأثير لشيء من ذلك إلا بمشيئته جل وعلا)[١٨١] .

وعموماً فإن استجابة النار لأمر ربها بأن كانت برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام ويدل دلالة قاطعة على امتثالها لأمر الله ربها خالقها ومالك أمرها ومدير شؤونها ، وهل هذه الاستجابة إلا عبودية لرب العالمين ؟

وبعد ، هذه تقريباً هي أهم الآيات التي قرر فيها القرآن عبودية غير الإنسان لله عزوجل ، ويبقى أن نســـتنبط المنهج القرآني الذي سارت عليه الآيات لبيان عبودية غير الإنسان لله عزوجل ، كما يلي:-

المطلب الرابع : أساليب القرآن في بيان عبودية غير الإنسان لله عزوجل :

بعد هذا العرض المفصل لنصوص القرآن المقررة لعبودية غير الإنسان لله عزوجل ، وبعد التأمل فيما يمكن القول إن القرآن الكريم قد اعتمد في بيانه لعبودية غير الإنسان لله عزوجل على عدة أساليب يمكن توضـــيحها في المطالب التالية :-

المسألة الأولى : منهج القرآن الكريم بإيمان غير الإنسان بالله عزوجل بشكل عام :

اتضح هذا في بعض كلام الله حيث ذكر سبحانه ما يؤكد اعتراف غير الإنسان بـــالله ، وإيمانـــه بـــه، وشهادته له بالتوحيد ، كما في حديثه سبحانه عن الملائكة مما سبق شرحه في قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[١٨٢] أي شهدوا له بالألوهية وتفرده بذلك سبحانه ، وكما في قوله عزوجل عن حملة العرش : ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾[١٨٣] أي يؤمنون بالله .

ومثل هذا تصريحه بإيمان الملائكة بالقرآن كما يفهم من قوله تعـــالى : ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾[١٨٤] .

ومثله أيضاً تصريحه بإسلام من في السماوات والأرض كما قال تعالى : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[١٨٥] . قال القرطبي : (أي استسلم وانقاد وخضع وذل ، وكل مخلوق فهو منقاد مستسلم ، لأنه مجبول على ما لا يقدر أن يخرج عنه)[١٨٦].

وقال البغوي : (أسلم أهل السماوات طوعاً ، وأسلم من في الأرض بعضهم طوعاً وبعضهم كرهاً ، خوفاً من السيف والسبي ... وقيل : هذا يوم الميثاق حيث قال لهم ألست بربكم قالوا بلى... ، وقال الكلبي طوعاً الذي ولد في الإسلام ، وكرهاً الذين أجبروا على الإسلام ممن يُسبى منهم ، فيجاء بهم في السلاسل...)[١٨٧] .

المسألة الثانية : ذكر القرآن الكريم لعبادات غير الإنسان لله عزوجل : وتفصيله لذلك بشكل خاص :-

كما تناول القرآن الكريم عبودية غير الإنسان لله عزوجل بصورة إجمالية عامة ، وتحــدث عــن إيمــان المخلوقات بالله بشكل عام ، فقد ذكر عبودتها له عزوجل بشكل خاص ، وفصل في ذكر مظاهر تعبــدها لله سبحانه وتعالى ، وهذا أكثر ما ورد في القرآن الكريم ، فقد استفاض بذكر آيات تسبيح المخلوقات لله عزوجل ، وتحدث عن سجودها لربها ، وعن دعائها واستغفارها لخالقها ، وعن صلاتها له عزوجل ، وعن امتثالها لربها وخضوعها له لتنفذ فيها مشيئته وقدرته بتسخيرها للخلق ، وأداء وظيفتها التي خلقت لأجلها ، وتكلم عــن خوفها من الله وإشفاقها منه ومن حمل تكاليفه التي حملها الإنسان ، وعن خشيتها وخشوعها لكلامه ، وأشار إلى حمد الكون كله لله عزوجل يوم القيامة.. الخ.

لقد تناول القرآن الكريم هذا كله ، وتحدث عن جزئيات العبادة وتفاصيلها وصُورها لجميع مخلوقاته من غــير الإنسان - العاقلة منها كالملائكة والجن ، وغير العاقلة كدواب الحيوان والطيور ، والجبال والرياح والسحاب والرعد ، وأجرام السماء من شمس وقمر ونجوم ، والسماوات والأرض بكل من فيهما وما فيهما وما علاهما ، وغير ذلك مما خلق الله ، تحدث عنها القرآن بشكل خاص ، وفصَّلها بطريقة تثبت وتؤكد عبوديتها لله عزوجل ، وتبين صور تلك العبادة ، وقد سبق ذكر شواهد هذا كله بما يغني عن إعادته هنا .

المسألة الثالثة : تصوير القرآن الكريم وتصويره لمشاهد ومواقف تعبد غير الإنسان لله عزوجل :

وهذا واضح في تناول آيات القرآن الكريم لعبادات المخلوقات من غير الإنسان فقد صور عبادة الملائكة لربهم قبل خلق آدم عليه السلام قائلين : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [١٨٨] ويوم القيامة وهم يعتذرون لربهم عن عبادة البشر لهم أو للجنَّة قائلين : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ [١٨٩] وصوَّر عبادتهم بعد فصل القضاء يوم القيامة ووصَفَهم بأنهم ﴿ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ ﴾ [١٩٠] وذكر أنهم ﴿ مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [١٩١] وكشف أنهم يدعون للمؤمنين قــائلين ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [١٩٢] .

بل كشف لنا أنهم لكثرتهم وهــم ﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ ﴾ [١٩٣] تكــاد السماوات يتفطرن من فوقهن .

وكما صوَّر القرآن عبادة الملائكة لله ، فقد كشف لنا حال الجن وهم يعلنون إيمانهم بالله وبكتابه ويتبرؤون من الشرك بالله قائلين : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ ﴾[١٩٤] .

وصوَّر نماذج من عبادة الهدهد لله عزوجل وهو يستعظم شرك ملكة سبأ وقومها بالله وينكر ذلك، ثم صـــوَّره وهو يدعو للسجود لله عزوجل ، ثم وهو يلقي كتاب سليمان عليه السلام إلى ملكة اليمن حينها يدعوهم فيها إلى الاستسلام لرب العالمين كما قال تعالى على لسان سليمان موجها الهدهد ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝٢٨ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[١٩٥] .

المسألة الرابعة : نفي القرآن الكريم استكبار غير الإنسان عن عبادة الله أو تقصيره في ذلك:

كما أن القرآن الكريم قد قرر عبادة غير الإنسان لله عزوجل وإيمانه به بصورة مجملة وبشكل عام ، وذكر صور عبادته لله تفصيلاً ، وصوَّر شيئاً من مشاهد تلك العبادة وأحداثها ، فإنه أيضاً قد أثبت عبودية غـــير الإنسان لله عزوجل ، من خلال نفيه لاستكبار غير الإنسان عن عبادة الله ، أو تقصيره في ذلك ، ويتضح هذا كثيراً في حديثه سبحانه عن عبادة الملائكة وعبوديتهم لله ، فقد نفى عنهم استنكافهم عن عبادته قـــائلاً : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[١٩٦] ونفى عنهم أي استكبار عن عبادة الله ، بل وبرَّأهم من أي فتور أوعجز أو كسل أو سأم وملل من عبادة الله ، حيث وصفهم قـــائلاً : ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠ ﴾[١٩٧] وقائلاً : ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ۝٣٨ ﴾[١٩٨] فقد نفى سبحانه عن ملائكته إباءهم أو تكبرهم عن عبادته، أو استحسارهم منها ، ومعـــنى (لا يستحسرون) أي لا يرجعون وقيل لا يَعْيَوْنَ لا يحسرون[١٩٩] ، وقيل لا ينقطعون من العبادة[٢٠٠] ، وقيـــل لا يستريحون[٢٠١] ، ونفى سبحانه عنهم الفتور والسأم فقال (لا يفترون) وقال : (لا يسأمون) وكله كما قـــال الطبري معناه واحد[٢٠٢] ، فلا سأم نفسي ولا فتور عضوي ، بل تمام التعبد لله عزوجل بكل رغبة ونشـــاط وهمة فقد ألهموا التسبيح كما أُلْهم بنو آدم النفس[٢٠٣] .

وكما نفى الله استكبار الملائكة عن عبادته ، فقد نفى أيضاً تقدمهم عليه سبحانه وتعالى بأي أمر[٢٠٤] من قول أو فعل كما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ ﴾[٢٠٥] .

ونفى سبحانه وتعالى وقوع أي مخالفة كونية للإرادة الإلهية في خضوع الكون لله ، واستسلام ما فيه له ، وجريانه وفق إرادته ومشيئته عزوجل ، دون خلل أو تقصير أو تجاوز ، كما يتضح من قوله تعالى عن الشمس والقمر ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[٢٠٦] أي يسيرون أو يجرون كما قدر الله وما شاء فعل فهو سبحانه الذي (**خلق فسوى**)[٢٠٧] وهو الــذي (**قــدر فهدى**)[٢٠٨] ولا راد لحكمه ، ولا معقب لقضائه ، ولا معطل لأمره عزوجل ، ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[٢٠٩] وهكذا الكون كله خاضع لإرادة الله ومشيئته طوعاً أوكرهاً ، كما سبقت الإشارة إليه.

المسألة الخامسة : تسجيل القرآن لاعتراف غير الإنسان بعبادته لله عزوجل

اشتمل القرآن الكريم على آيات مباركات سجل فيها المولى عزوجل حديث بعض المخلوقات – من غير الإنسان – عن عبادتها لله سبحانه وتعالى ، من ذلك ما قالته الملائكة عن قيامهم لله ودوام تسبيحهم له ، كما قال سبحانه على لسان جبريل عليه السلام : ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾[٢١٠] ومعنى الصَّافُّون : أي صفوف في السماء[٢١١] أو السماوات للصلاة[٢١٢] ، قال صلى الله عليه وسلم : (ما في السماء موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم ، وذلك قول الملائكة عليهم السـلام وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون)[٢١٣] ، ومن ذلك أيضاً أي حديث الملائكة عن عبادتها لله مــا جاء في قوله تعالى على ألسنتهم ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ ﴾[٢١٤].

ومن حديث غير الإنسان عن عبادته لله ما سجله القرآن عن مقالة الجن ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ ﴾[٢١٥]. وقولهم ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[٢١٦] وقولهم ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ ﴾[٢١٧] .

ومن ذلك تسجيله سبحانه وتعالى لقول السماوات والأرض رداً على أمر الله القائل : ﴿ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[٢١٨] .

المسألة السادسة : تقرير القرآن عبادة غير الإنسان لله ونفيه علم البشر بذلك وفقهم له :-

سبق ذكر كثير من الآيات القرآنية التي قرر الله فيها عبادات غير الإنسان لله عزوجل ، وعبوديتها له ، إلا أن الله تعالى في بعض هذه الآيات بعد أن يقرر عبادة هذه المخلوقات يتبعها بنفي علم الإنسان بذلك ، أو فقهه له ، مبيناً عدم إدراكه لصور تعبدها لله عزوجل ، جاء هذا في ذكره سبحانه تسبيح الكون كله لله بمن فيه وما فيه قائلاً : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾[٢١٩] ، ويعتبر نفي الله لعلم البشــر

بعبادات غيرهم لله عزوجل هذا النفي بحد ذاته هو تقرير ضمني يؤكد عبادتها لله سـبحانه وتعـالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴾[٢٢٠] .

المسألة السابعة : ضرب القرآن الأمثلة لبيان عبودية غير الإنسان وعبادته لله :

تعددت صور وأساليب وموضوعات ضرب الأمثلة في القرآن الكريم ، لحكَم معينة، ومن ذلك ، ما ضربه القرآن من أمثلة عن خشوع غير الإنسان لله عزوجل وخشيته له وشدة خوفه منه ، وتأثره بكلامه ، جاء هذا في حديثه سبحانه عن خشية الجبال لله ، وهي مضرب المثال في العلو والقوة والصلابة والتماسك والكبرياء ، ورغم هذا كله فإنه سبحانه يقول عنها وهي غير الإنسان العاقل المخلوق من نطفة ودم ولحـم ، الضـعيف المقهور : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٢٢١] فأثبت للجبل الخشوع والخشية لله عزوجل ، فظهر ذلك على كيانه فأصبح يتصدع ويتشقق من خشية الله قال الطبري (يضرب الله لهم هذه الأمثال ليتفكـروا فيهـا ، فيُنيبـوا وينقادوا للحق... يقول تعالى ذكره : الذي يتصدع من خشيته الجبل أيها الناس هو المعبود)[٢٢٢] وقال القرطبي : (والخاشع : الذليل ، والمتصدع : المتشقق)[٢٢٣] .

ومثل هذا ما جاء في حديث القرآن عن شرك المشركين بالله واعتقادهم وجود ولد له ، وإنكاره ذلـك عليهم ، وتعظيمه لهذا المنكر حيث جاءت آيات القرآن لرفض ذلك بشدة ، وتعظيم خطئه وجرمه ، فضربت المثال بأعظم شيء خلقه الله عزوجل ، وجعله عابداً له ، بالسماوات والأرض والجبال، حيث أثبت سـبحانه وتعالى لها شدة الخوف من الله ، ومن الشرك به ، ومن ادعاء الولد له عزوجل ، فقـال تعـالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾[٢٢٤] .

وبضرب القرآن لهذه الأمثلة يحقق العظة والعبرة لكل ذي عقل ، ويؤكد عبودية أعظـم المخلوقـات لله عزوجل ، وقبل أن نختم هذا البحث أقول :-

لقد دعانا الله عزوجل في قرآنه إلى التفكر في آياته الكونية ، والتدبر لآياته القرآنية ، قائلاً : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾[٢٢٥] وقائلاً : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[٢٢٦] وقائلاً : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[٢٢٧] وما ذلك إلا لتذكير الغافل، وتعليم

الجاهل ، وترسيخ الإيمان ، واكتشاف آيات الله في كونه للاستدلال بذلك على استحقاقه توحيد الربوبية والألوهية ، ومعاني كثير من أسمائه وصفاته ، وتوحيده في ذلك .

وبالتدبر في آيات عبودية غير الإنسان لله عزوجل ، يكتشف المخلوق الضعيف الإنسان وجود من هو أعبد منه لله وأعظم عبادة له ، وإيماناً به ، واشتغالاً بذكره ، كالملائكة ، بل يكتشف خضوع وسجود وتسبيح الكون كله بما فيه ومن فيه لله عزوجل ، فيستشعر تقصيره في حق الله، ويزداد تعظيمه له ، وتقديره لقدره سبحانه وتعالى .

ويستأنس بعبودية وعبادة غيره لله ، ويتعامل مع هذا الكون المسبح الساجد القانت لله عزوجل ، بوحدة كونية ، وتآلف تعبدي ، وشعور داخلي عظيم أنه جزء من هذا الكون الفسيح العظيم العابد لله ، ويستعظم جرم من كفر بالله وجحد به ، أو عصاه وخالف أمره ، فلا يملك إلا أن يسير مع الكون في ركب التوحيد والإيمان ، والخضوع والانقياد ، مضيفاً لذلك كمال الحب مع كمال التذلل .

بل يحافظ على الكون بمن فيه وما فيه قدر الإمكان ، فلا يفسد فيه ، ولا يتسبب بقطع عبادة شيء من الكون عاقلٍ وغير عاقل ، بعد علمه أنه مؤمن بالله عابد لله ، بتسبيح وسجود ، وتحميد وركوع وخشية وخشوع ، وانقياد وخضوع .

وختاماً : هذا هو ما أمكن استنباطه من كشف منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان ، حيث خرج البحث بالنتائج التالية :

نتائج البحث :

١. كل ما في الكون – عاقل وغير عاقل – عابد لله خاضع له ، منقاد لمشيئته سبحانه ونفاذ وقدرته وإرادته دون امتناع منذ خلقه الله .
٢. تنقسم عبودية المخلوقات إلى ثلاثة أقسام كما يلي :-
   أ- عبودية عامة هي عبودية الربوبية لكل المخلوقات بدون استثناء حتى الكفار .
   ب- عبودية خاصة هي عبودية التأله والمحبة والطاعة ، وهي خاصة بالمؤمنين.
   ت- عبودية خاصة الخاصة ، وهي عبودية الأنبياء والمرسلين .

أي هناك تعبد كوني لكل المخلوقات بشكل عام ، وتعبد شرعي لعقلاء المخلوقات من الملائكة والجن والإنس .

١. لغير الإنسان من جماد وحيوان ونبات وأكوان ، إدراك وتمييز وإحساس وكلام، فهو يشبه الإنسان كثيراً .
٢. لكل عاقل غير الإنسان عبودية وعبادات لله عزوجل ، كالملائكة والجن ، ذكر القرآن نماذج منها .

٣. لغير العاقل من حيوانات ودواب وطيور ونبات وشجر وجبال وأحجار عبوديـــة لله وعبـــادات لا يعلمها إلا الله .

٤. للظواهر الجوية من رياح وسحاب ورعد وظلال ، عبادة تحقق عبوديتها لله عزوجل ، لا يعلمهـــا الناس ، كشفها القرآن الكريم .

٥. الكون كله بسماواته وأرضه بمن فيهما وما فيهما وما علاهما عابد لله عزوجل، خاضع له ، ممتثـــل لأوامره .

٦. قرر القرآن الكريم عبودية كل ما سبق ، وكشف صوراً من ذلك كما يلي:-

أ-تارة بالتصريح بإيمانها بالله عزوجل واستسلامها له بشكل عام .

ب- وتارة بالتفصيل ، وذِكرِ شيء من هذه العبادات بشكل خاص .

جـــ- وتارة بتصوير بعض مشاهد عبادتها الدالة على عبوديتها لله عزوجل .

د- وتارة بنفي استكبارها عن عبادة الله ، أو تقصيرها في ذلك .

هـــ- وتارة بتسجيل اعترافها بعبادتها لله عزوجل .

و- وتارة بتقرير عبادتها وعبوديتها لله ، ونفي علم البشر بذلك .

ز- وتارة بضرب الأمثلة لبيان عبوديتها وعبادتها لله سبحانه وتعالى .

هذا هو منهج القرآن في بيان عبودية غير الإنسان ، حيث ثبت لنا أن الكون كله بمن فيه وما فيه ، عابد لله عزوجل ، جبراً أو اختياراً ، طوعاً أو كرهاً ، بعبادات وتعبد كوني قدري قهري عام ، أو عبادات وتعبـــد شرعي ديني طوعي خاص ، تتجلى من خلاله وحدانية الله عزوجل في ألوهيته وربوبيته وجميع أسمائه وصفاته.

توصيات :-

بناءً على النتائج السابقة فإن الباحث يوصي بما يلي :

١- ضرورة توعية كل عاقل بعبودية غير الإنسان لله ومعرفته له سبحانه وإيمانه به عز وجل لدفع العقـــلاء المميزين إلى تحقيق ما أمكن من التعبد لله سبحانه وتعالى .

٢- تناول البحث منهج القرآن الكريم في بيان عبودية غير الإنسان لله عز وجل ، واقتصر البحث على بيان عبودية الكائنات في دار الدنيا ، وما هناك عبودية المخلوقات في الدار الآخرة ، لم تأخذ حقهـــا مـــن البحث والدراسة ، وعليه فالباحث يوصي بدراسة ذلك لتكملة البحث .

هوامش البحث :

(١) البقرة: ١١٦ .

(٢) الإسراء: ٤٤ .

(٣) لسان العرب ٣٠٠/١٤، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور .

(٤) الكليات ص٩١٣ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوى .

(٥) المعجم الوسيط ص٩٥٧ لإبراهيم مصطفى وآخرين .

(٦) لسان العرب لابن منظور ١٠/٩ .

(٧) تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول ٥٩/١ ، عبدالمحسن بن محمد القاسم .

(٨) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ٦٠/١ عبدالعزيز الراجحي (عبارة عن أشرطة مفرغة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية) . وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ٤١٣/١ سفر بن عبدالرحمن الحوالي .

(٩) مريم: ٩٣.

(١٠) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ٢٠١/٢ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان .

(١١)الفرقان: ٦٣ .

(١٢) إعانة المستفيد للفوزان ٢٠١/٢ .

(١٣) الإسراء: ٣ .

(١٤) البقرة: ٢٣ .

(١٥) شرح العقيدة الطحاوية للحوالي ١٩٧٠/١.

(١٦) الأنعام: ٣٨ .

(١٧) تفسير القرآن ١٠١/١ أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني .

(١٨) مفاتيح الغيب ٥٢٥/١٢ محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي .

(١٩) كتفوق بعض الطيور والحيوانات على الإنسان في حاسة السمع أو الشم أو الرؤية وغير ذلك .

(٢٠) الأحزاب: ٧٢ .

(٢١) تتمة أضواء البيان ١٢/١ للشيخ عطية محمد سالم .

(٢٢) لابتي المدينة أي حترين تكتنفاها ، واللابة هي الإبل المجتمعة السوداء ، أو الحجارة السوداء ، انظر : القاموس المحيط ١٣٧/١، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. و : الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ١١٣/٤ لأبي الحسين مسلم بن الحجاج .

---

(٢٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣١٠/٣، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم ١٤٣٧٢ وقد أخرجه الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه .

(٢٤) الجامع الصحيح (صحيح البخاري) ١١/٥ ، وأخرجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢٥) تتمة أضواء البيان ١٥٨ ، الشيخ عطية محمد سالم .

(٢٦) موطأ مالك — رواية يحي الليثي ٨٨٩/٢ ، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ، وأخرجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢٧) النمل: ١٧ - ٢٦ .

(٢٨) أي إن شعروا فلا يمكن أن يفعلوا ذلك ، فما بال أناس في هذا العصر يمشون مرحاً ، يطؤون بأقدامهم هوام الأرض ، أو يدهسونها بسياراتهم ، أطفالاً أو كباراً ، دون مبالاة ، وباستخفاف بالأرواح ، بل هنالك من يقتل جماعات من البشر ويدمر مدناً بأكملها ، وهو ينتشي بذلك ، دون خوف من الله أو رحمة إنسانية .

(٢٩) النمل: ١٩ .

(٣٠) النمل: ٢٨ .

(٣١) النساء: ٨٧ .

(٣٢) أخرجه البخاري في صحيحة ١٥٨/١ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٧/٧ انظر : صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت٣٥٤)هـ ترتيب علي بن بلبان بن عبدالله (ت٧٢٩)هـ .

(٣٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ١٨٥/٢، برقم ١٠٨٤ عن أبي لبابة انظر سنن ابن ماجه ، كتب حواشيه محمود خليل .

(٣٥) أخرجه ابن ماجه في سننه ١٧٣/٤، برقم ٢٩٤٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣٦) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٧/١١.

(٣٧) انظر مسند الإمام أحمد ٢٧٢/٢ وما بعدها .

(٣٨) انظر سورة النمل آية ٨٢.

(٣٩) انظر صحيح البخاري ٢١٢/٤ ، كتاب بدء الوحي .

(٤٠) انظر سنن ابن ماجه ١٥٠/١ .

(٤١) انظر سنن أبي داود بتحقيق وتعليق الألباني ٤٨٧/٤، باب ما جاء في الديك والبهائم .

(٤٢) انظر صحيح البخاري ٢١٢/٤، كتاب بدء الوحي .

(٤٣) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٧٠/٥ حديث المشايخ عن أبي بن كعب برقم ٢١٥٣٥.

(٤٤) انظر مسند الإمام أحمد ٢٦٦/١ ، مسند عبدالله بن العباس ، برقم ٢٤٠٠.

(٤٥) انظر صحيح مسلم ٥٨/٧ ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه.

(٤٦) تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ١٥/١ .

(٤٧) بل أثبت العلم الحديث وجود الإدراك والتمييز والإحساس في أشياء كثيرة جداً لا يتصورها الإنسان ، مثل كرات الدم البيضاء في جسم الإنسان ، والخلايا العصبية ، والنحل ، والنباتات ، وكثير من الحشرات .
انظر : العلم يدعو للإيمان لكريسى موريسون ، الطب محراب الإيمان للدكتور خالص جلبى ، آيات الله في الأكوان للنابلسي .

(٤٨) آل عمران: ١٨ .

(٤٩) جامع البيان للطبراني ٢٧٠٦/٦ .

(٥٠) غافر: ٧ .

(٥١) فصلت: ٣٨.

(٥٢) الأنبياء: ٢٠ .

(٥٣) البقرة: ٣٢ .

(٥٤) سبأ: ٤١ .

(٥٥) الزمر: ٧٥.

(٥٦) الصافات: ١٦٤ - ١٦٦ .

(٥٧) البقرة: ٣٠ .

(٥٨) تفسير القرآن العظيم ٢٢١/١، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي .

(٥٩) الأعراف: ٢٠٦ .

(٦٠) النحل: ٤٩ .

(٦١) النحل: ٥٠ .

(٦٢) الأنبياء: ٢٨ .

(٦٣) غافر: ٧ - ٩ .

(٦٤) الشورى: ٥ .

(٦٥) الأحزاب: ٤٣ . والصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة وقيل رحمته ، والصلاة من الملائكة دعاؤها للمؤمنين واستغفارها لهم. انظر تفسير ابن كثير ٤٣٦/٦.

(٦٦) التحريم: ٦ .

(٦٧) الأنبياء: ٢٧ .

(٦٨) فصلت : ٣٠

(٦٩) انظر الأنفال :١٢.

(٧٠) انظر الزمر : ٧٣.

(٧١) انظر البقرة :١٦١ .

(٧٢) انظر الأنفال : ٥٠

(٧٣) انظر الزمر : ٧١ ، الملك ٨-٩.

(٧٤) الأنبياء : ٢٦.

(٧٥) الأنبياء : ١٩ . وسنأتي لتفسيرها فيما يلي من فقرات.

(٧٦) النساء : ١٧٢ .

(٧٧) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٧٣/١.

(٧٨) تفسير ابن أبي حاتم ١١٢٤/٤.

(٧٩) الجن: ١ - ٣ .

(٨٠) الدر المنثور للسيوطي ٨/١٥-٩.

(٨١) الأحقاف: ٢٩ – ٣١ .

(٨٢) الجن: ١ - ٢ .

(٨٣) الجن: ١١.

(٨٤) الجن: ١٤.

(٨٥) الدر المنثور للسيوطي ٢٢/١٥.

(٨٦) النحل: ٤٩ .

(٨٧) الحج: ١٨ .

(٨٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥٨/٩، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي .

(٨٩) جامع البيان في تفسير القرآن ٣/١، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري .

(٩٠) نفس المرجع السابق ٢١٩/١٧ .

(٩١) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ١٢٧ للقرطبي .

(٩٢) تفسير البغوي ١١١/١ ، انظر : معالم التتريل للبغوي .

(٩٣) مفاتيح الغيب ٣٣٣/٨ الإمام محمد بن عمر .

(٩٤) نفس المرجع ٢٥/١٩ .

(٩٥) نفس المرجع والصفحة .

(٩٦) تفسير البحر المحيط ٢٤٦/٣ ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي .

(٩٧) تفسير القرآن للسمعاني ٨٦/٣.

(٩٨) مفاتيح الغيب للرازي ٢٥/١٩ .

(٩٩) نفسه ٢١٣/٢٣ .

(١٠٠) انظر : التسهيل في علوم التتريل ١١٢٢/١، والتحرير والتنوير ١٦٤/١٧ وروح المعاني للآلوسي ١٢٥/٩ وأيسر التفاسير للجزائري ٤٩٩/٢.

(١٠١) التسهيل لعلوم التتريل ٨٣٩/١، محمد بن أحمد جزى الكلبي (ت٧٤١)هـ.

(١٠٢) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ١٣٧/١٣ .

(١٠٣) النور: ٤١ ومثلها في الأنبياء ٧٩ وسبأ ١٠.

(١٠٤) جامع البيان للطبري ٣٣٣/١٧.

(١٠٥) تفسير ابن كثير ٧٢/٦.

(١٠٦) تفسير السعدي ٥٦٩/١.

(١٠٧) نفسه ٤٤٢/١.

(١٠٨)الإسراء: ٤٤ .

(١٠٩) تفسير مقاتل بن سليمان ٢٥٩/٢ ،.

(١١٠) فتح القدير ١٤٣/٧ .

(١١١) الأنبياء: ٧٩.

(١١٢) انظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٤٢/٣ ، ١٢١/٥ للزجاج .

(١١٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/١٧ .

(١١٤) النمل: ٢٤ .

(١١٥) النمل: ٢٥ – ٢٦.

(١١٦) النمل : ٢٥ .

(١١٧) تفسير الشعراوي ١٤٨٠/١ ، محمد متولي الشعراوي (ت١٤١٨)هـ.

(١١٨) المحرر الوجيز لابن عطية ١٦١/٥.

(١١٩) الحج: ١٨ .

(١٢٠) الرحمن: ٦ .

(١٢١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٢٢/٢٧.

(١٢٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ٧٣٢١/٤ .

(١٢٣) نفسه ٢٤١٤/٤.

(١٢٤) الإسراء: ٤٤ .

(١٢٥) الحشر: ٢٤.

(١٢٦) الحديد: ١ ، ونحوها في الحشر ١، والصف١.

(١٢٧) الحج: ١٨.

(١٢٨) تفسير ابن كثير ٢١١/٣.

(١٢٩) الأنبياء: ٧٩.

(١٣٠) سبأ: ١٠.

(١٣١) تفسير عبدالرزاق الصنعاني ٥٧/٣ .

(١٣٢) ص: ١٨.

(١٣٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٩/١١، ١٥٩/١٥.

(١٣٤) فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير ٤١٩/٣، محمد بن علي الشوكاني.

(١٣٥) الإسراء: ٤٤ ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٦٧٢/٤ ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .

(١٣٦) الحشر: ٢١ .

(١٣٧) البقرة: ٧٤ .

(١٣٨) الجامع للقرطبي ٤٦٥/١.

(١٣٩) نفسه بتصرف يسير .

(١٤٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٩٥/١ بتصرف يسير ، الآلوسي .

(١٤١) الأحزاب: ٧٢ .

(١٤٢) مريم: ٩٠ – ٩٢ .

(١٤٣) تفسير السعدي ٥٠١/١ بتصرف يسير.

(١٤٤) ص: ٣٦ .

(١٤٥) البقرة: ١٦٤.

(١٤٦) الرعد: ١٣.

(١٤٧) أخرجه الإمام مالك في موطئه ٢/٩٩٢، برقم ١٨٠١عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه .

(١٤٨) فتح القدير للشوكاني ٧٢/٣ وفي مسند الإمام ٢٧٤/١ قال صلى الله عليه وسلم (الرعد ملك من الملائكة موكل بالسحاب...) ، وحسن الألباني الحديث في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٧٢.

(١٤٩) في ظلال القرآن ٢٠٥١/٤.

(١٥٠) انظر فتح القدير للشوكاني ٩٦/٤.

(١٥١) الحج: ١٨ .

(١٥٢) الرحمن: ٦ .

(١٥٣) للفظ النجم الوارد في الآية معنى آخر سنأتي عليه فيما يلي من فقرات البحث .

(١٥٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٩٦/١ برقم٤١٨ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

(١٥٥) أخرجه البخاري في صحيحه ١٥٣/٩ أبي ذر الغفاري رضي الله عنه برقم٧٤٢٤.

(١٥٦) جامع البيان للطبري ٤٨٧/١٦ .

(١٥٧) الرعد: ١٥

(١٥٨) النحل: ٤٨.

(١٥٩) تفسير الطبري ٢٤٠/١٤.

(١٦٠) روح المعاني ٣٩٣/٧.

(١٦١) الأعراف: ٥٤ .

(١٦٢) الأنبياء: ٣٣ .

(١٦٣) الدر المنثور للسيوطي ٢٧٥/١٠.

(١٦٤) يس: ٤٠ .

(١٦٥) النحل: ١٢ .

(١٦٦) الأنعام: ٩٧ .

(١٦٧) النحل :١٥.

(١٦٨) غافر: ٥٧

(١٦٩) فصلت: ١١، ونحوها في سورة البقرة :١١٦ . وآل عمران ٨٣، والروم ٢٦.

(١٧٠) الإسراء: ٤٤.

(١٧١) الحديد :١ .

(١٧٢) التغابن: ١ ، ونحوها في الحشر:٢٤ ، والجمعة :١.

(١٧٣) النور: ٤١ .

(١٧٤) تفسير اللباب ، لابن عادل ٤٨١٦/١ .

(١٧٥) هود: ٤٤ .

(١٧٦) الزلزلة: ٤ – ٥ .

(١٧٧) الزمر: ٧٥ .

(١٧٨) تفسير ابن كثير ١٢٥/٧.

(١٧٩) الأنبياء: ٦٩ .

(١٨٠) الجامع للقرطبي ٣٠٤/١١.

(١٨١) أضواء البيان ٣٩٨/٣ بزيادة يسيرة .

(١٨٢) آل عمران: ١٨ .

(١٨٣) غافر: ٧ .

(١٨٤) النساء: ١٦٦.

(١٨٥) آل عمران: ٨٣ .

(١٨٦) الجامع لأحكام القرآن ١٢٧/٤.

(١٨٧) تفسير البغوي ٦٣/٢.

(١٨٨) البقرة: ٣٢ .

(١٨٩) الفرقان: ١٨.

(١٩٠) الزمر: ٧٥ .

(١٩١) الأنبياء: ٢٨ .

(١٩٢) غافر: ٧ — ٩.

(١٩٣) الشورى: ٥ .

(١٩٤) الجن:١– ٣ .

(١٩٥) النمل: ٢٨ – ٣١ .

(١٩٦) النساء: ١٧٢ .

(١٩٧) الأنبياء: ١٩ – ٢٠ .

(١٩٨) فصلت: ٣٨ .

(١٩٩) تفسير الطبري ٢٤٢/١٦.
(٢٠٠) الدر المنثور للسيوطي ٢٦٣/١٠ .
(٢٠١) تفسير مقاتلين سليمان ٣٥٤/٢.
(٢٠٢) جامع البيان ٢٤٣/١٦.
(٢٠٣) الدر المنثور للسيوطي ٢٦٣/١٠.
(٢٠٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٥٥/٢.
(٢٠٥) الأنبياء: ٢٧.
(٢٠٦) يس: ٤٠.
(٢٠٧) الأعلى :٢ .
(٢٠٨) الأعلى :٣.
(٢٠٩) يس: ٨٢ .
(٢١٠) الصافات: ١٦٤ – ١٦٦.
(٢١١) الدر المنثور للسيوطي ٤٩٥/١٢.
(٢١٢) تفسير مقاتل بن سليمان ١١٠/٣.
(٢١٣) أخرجه المروزي في ٢٦٠/١ ، انظر : تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر بن حجاج المروزي .
(٢١٤) البقرة: ٣٠ .
(٢١٥) الجن: ١ – ٣ .
(٢١٦) الجن: ١١.
(٢١٧) الجن: ١٤
(٢١٨) فصلت: ١١.
(٢١٩) الإسراء: ٤٤.
(٢٢٠) النساء: ٨٧ .
(٢٢١) الحشر: ٢١ .
(٢٢٢) جامع البيان ٣٠١/٢٣.
(٢٢٣) الجامع لأحكام القرآن ٤٤/١٨ .
(٢٢٤) مريم: ٨٨ – ٩١.
(٢٢٥) آل عمران: ١٩٠ .

(٢٢٦) يونس: ١٠١.

(٢٢٧) النساء: ٨٢ .

المصادر والمراجع :

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣)هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط(بدون) ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، بيروت – لبنان.
- أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ، دار النشر (بدون) ، ط (بدون) ، د، ت، البلد (بدون)
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان ، مؤسسة الرسالة ، ط٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، بيروت – لبنان .
- التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ، (ت١٣٩٣هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط١ ، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، بيروت .
- تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر بن حجاج المروزي (ت٢٩٤)هـ تحقيق د/ عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي ن مكتبة الدار ، ط١، ١٤٠٦هـ، المدينة المنورة .
- تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، ط(بدون)، ١٤٢٠هـ ، بيروت .
- معالم التنزيل لمحيي السنة (أبو محمد بن حسين بن مسعود البغوي ت٥١٠هـ) تحقيق محمد عبدالله النمر وغيره ، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٤ ، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .
- تفسير القرآن أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت٤٨٩هـ) تحقيق ياسر بن إبراهيم وغيره ، دار الوطن ، ط(بدون) ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، الرياض – السعودية .
- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤)هـ تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- تفسير اللباب ، لابن عادل ، المؤلف أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ت ٨٨٠هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- تفسير عبدالرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ) دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت – لبنان .
- تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، ، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية ، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، بيروت- لبنان .
- تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول ، عبدالمحسن بن محمد القاسم ، المطبعة (بدون) ، ط١ ، ١٤٢٧هـ ، البلد (بدون) .

- جامع البيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠)هـ ، مكتب التحقيق بدار هجر ، ط١ ، البلد (بدون) .
- الجامع الصحيح (صحيح البخاري) ، محمد بن اسماعيل البخاري (أبو عبدالله) (ت٢٥٦) ، دار الشعب ، ط١ ، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م، القاهرة.
- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج ، دار الجيل ، ط (بدون) دت، بيروت – لبنان .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت٦٧١)هـ ، تحقيق أحمد البردوني وغيره ، دار الكتب المصرية ، ط٢ ، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م ، القاهرة .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١)هـ، تحقيق مركز هجر للبحوث ، الناشر دار هجر ، ط(بدون) ، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، مصر .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني بتصرف يسير ، شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلوسي، تحقيق علي عبدالباري عطية ، دار الكتب العلمية ، ط(بدون) ١٤١٥هـ ، بيروت – لبنان .
- سنن ابن ماجه ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوين (ت٢٧٣)هـ، كتب حواشيه محمود خليل ، مكتبة أبي المعاطي ، ط (بدون) ، دت ، البلد (بدون) .
- شرح العقيدة الطحاوية ٤١٣/١ سفر بن عبدالرحمن الحوالي ، المطبعة (بدون) ، دت، البلد (بدون) .
- شرح العقيدة الطحاوية عبدالعزيز الراجحي (عبارة عن أشرطة مفرغة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية) .
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان (ت٣٥٤)هـ ترتيب علي بن بلبان بن عبدالله (ت٧٢٩)هـ ، مؤسسة الرسالة ، ط (بدون) ، دت ، بيروت – لبنان .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم ، دار الشروق ، ط (بدون) ، دت ،البلد (بدون) .
- الكليات ص٩١٣ لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوى (١٠٩٤هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، بيروت – لبنان .
- لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، ط١ ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ، بيروت – لبنان.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج أبي إسحاق إبراهيم السري (ت٣٢٠هـ) ، شرح د/ عبدالجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، بيروت .

- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرين ، المكتبة الإسلامية ، ط (بدون) ، دت ، استانبول — تركيا .
- مفاتيح الغيب محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي. ط (بدون) ، د ت، بيروت — لبنان.
- موطأ مالك — رواية يحي الليثي ، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي ، دار إحياء التراث العربي ، ط(بدون) ، دت–مصر.